

إخفاق الطلاب في مادة العروض
والقافية
ملامح الضعف وسبل رفع الكفاءة

بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية
دبي - الإمارات العربية المتحدة
في الفترة من 7-10/5/2014م

إعداد: أ. عبدالرحيم صالح الشكري
كلية التربية - جامعة الزيتونة - ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.
أما بعد:

فإن علم العروض والقافية من العلوم المهمة والنافعة في الدرس العربي، به يتميز الكلام المنثور من المنظوم، وعن طريقه يُعرف الشعر الموزون من المكسور، وبواسطته يتحقق للشعر العربي الحفظ والصون.

وإذا كان الشعر كلاماً موزناً مقفياً، فإن قراءته تختلف عن قراءة النثر، وإقائه يتميز عن طريقة إلقاءه؛ إذ نحسّ ونحن نستمع إلى الشعر وهو يُلقى بكيفية معينة فيها إيقاع يأخذ الأسماع، نحس بالطرب يطغى على الأحاسيس والشعور، واستمالة الوجدان نحو الإصغاء بشوق وسرور، ويزداد اشتياق الأذن إلى المزيد من توالي الحركات والسكنات، بأسباب وأوتاد وفواصل تشكّل تفعيلاتٍ لها جرسٌ وأصواتٌ متناغمة متناسقة، يطرب السمع لذلك الإيقاع والتوقيع، والقصيدة تكون حيّة تتلألأ حيوية وحركة وإشراقاً إذا صاحبها حُسن الإلقاء والتوقيع، فتضفي على النفس المتعة وتكسو الأبيات نشوة وجمالاً، فتتفاعل مع الإحساس والشعور وتطرد الرتابة والنفور، أمّا إذا قرئت من غير توقيع عروضي وتناغم صوتي، فإنّها تجلب الرتابة والسامة والنفور، وعدم الاستجابة النفسية، ويكون ذلك أشبه بالميت الذي يخاطبه الحيّ.

إن علم العروض يحتاجه الشاعر وغير الشاعر، فالشاعر حاجته إليه تجعله ينظم الشعر على مختلف الأبحر، ومعرفة البحر الذي يناسب كل حالة نفسية من حيث الصفة والعدد من مجزوء ومشطور ومنهوك ... إلخ.

والجهل بذلك يحرمه الكثير من المتعة والفن.

وهو أشدّ لزوماً لطلاب اللغة والمتخصصين فيها؛ لأنّه يعينهم على فهم الشعر العربي ومعرفة أوزانه، كما أن الدارسين لشتى فروع المعرفة والثقافة العربية بحاجة إلى هذا العلم رغبة في الإفادة والاستفادة ممن يملكون آذاناً موسيقية وإحساساً مرفهاً.

هذا وقد جعلت هذه الدراسة من ثلاثة جوانب هي:

الجانب الأول: ويشمل:

1- التعريف بعلم العروض والقافية، وأهميته.

2- المحتوى العام للمادة (مفردات المنهج في الكتاب المقرّر).

الجانب الثاني: منهج العروض والقافية وملامح الضعف، ويشمل:

1- الصعوبات التي تواجه الطلاب في هذه المادة، وتتمثل في:

أ- الكتابة العروضية.

ب- التقطيع.

ج- الزحافات والعلل.

د- الخطأ في تعيين القافية.

2- نماذج مرفقة من تقطيع الطلاب لبعض الأبيات.

3- نماذج للإجابات عن بعض الأسئلة.

الجانب الثالث: سبل رفع الكفاءة.

الجانب الأول: علم العروض والقافية:

التعريف والأهمية:

أ- العروض في اللغة:

وردت لفظة (عروض) في اللغة لعدة معانٍ منها: "قولهم: استعمل فلان على العروض، وهي مكة والمدينة واليمن وما حولها، والعروض: الناحية، والعروض: المكان الذي يعارضك إذا سرت والعروض الطريق في عرض الجبل"⁽¹⁾.

ب- العروض في الاصطلاح:

هو: ((ميزان الشعر بها يعرف مكسوره من موزونه، كما إن النحو معيار الكلام يُعرف به معربه من ملحونه))⁽²⁾.

ج- القافية:

القافية لغة: "قفى أثره أي تبعه، والقافية من الشعر الذي يقفو البيت، وسميت قافية؛ لأنها تقفوا البيت، وفي الصحاح: لأنَّ بعضها يتبع أثر بعض"⁽³⁾.

القافية في الاصطلاح: "يراد بالقافية هذه الأصوات التي تتكرر في آخر كل بيت، أو كل مجموعة من أبيات القصيدة، وتكرير هذه الأصوات ركن أساس في الموسيقى الظاهرة بالنسبة للشعر"⁽⁴⁾.

"وسميت القافية قافية لأنها تقفو إثر كل بيت، وقال قوم: لأنها تقفوا أخواتها" والأول عندي هو الوجه؛ لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يجز أن يسمي آخر البيت الأول قافية "لأنه لم يقف شيئاً، وعلى أنه يقفو أثر البيت لصح جداً، وقال أبو موسى الحامض: "هي قافية بمعنى مقفوة مثل (ماء دافق) بمعنى مدفوق، و(عيشة راضية) بمعنى مرضية، فكان الشاعر يقفوها أن يتبعها هذا قول سائغ متجه"⁽⁵⁾.

د- أهميته:

لعلم العروض أهمية كبيرة؛ لأنه ميزان الشعر، به تحفظ الأوزان وتعرف بحور الشعر ويعرف الصحيح من المكسور من الأوزان، والتفعيلات العروضية تعطي للفظ الشعرية النغمة الخاصة التي تتناسبها، وعندما تتجاوز عدة تفعيلات، مقابل بيت من الشعر، ويقراً على تلك النغمة المناسبة قراءة عروضية نلمح الموسيقى الداخلية والخارجية تتمازجان لتضفي على البيت بل على القصيدة الإيقاع الشعري الذي يتم به تمييز الشعر من غيره كالنثر بصفة عامة"⁽⁶⁾.

إضافة إلى أن علم العروض فيه توجيه الشعر حسب القواعد والأصول والأسس التي نظم عليها العرب"⁽⁷⁾.

المحتوى العام للمادة:

تحتوي مادة العروض والقافية ، المقرّر تدريسها على الطلاب المفردات الآتية:

أ- الفصل الأول (مدخل عام) ويشمل :

مفهوم علم العروض اللغوي ، والاصطلاح ، أهميته - ووضعه - أسباب وضعه .

ب- الفصل الثاني:

المقدمات الأساسية:

- هيكل القصيدة العربية (البيت - الننتة - المقطوعة - القصيدة).
- تركيب البيت الشعري (الصدر والعجز - العروض والضرب - القافية - الروي).
- أنواع الأبيات (التام - المجزوء - المشطور - المنهوك - المدور - المقفّى - المصرّع).
- موازين الشعر العربي (التفعيلات) ، عددها :
- المقاطع الصوتية للتفعيلات (السبب بنوعيه - الوتد بنوعيه - الفاصلة بنوعيه) .
- الكتابة العروضية (الحروف التي تزداد - الحروف التي تحذف - أل الشمسية والقمرية).
- أسماء البحور و أوزانها.
- التقطيع.
- الزحافات والعلل.
- تدريبات.
- ج- الفصل الثالث : البحور :
- تدريبات في نهاية كل بحر.
- الفصل الرابع (القافية).
- تعريفها.
- حروفها.
- حركاتها.
- عيوبها.
- تدريبات.
- التدريبات العامة⁽⁸⁾.

- الجانب الثاني: منهج العروض والقافية، وملامح الضعف:

يشكو الطلاب والدارسون في مختلف المراحل الدراسية من مادة علم العروض والقافية، ويصفونها بالصعوبة والرتابة والجفاف، وأنها بأي حال من الأحوال لا تعلق بالذهن ولا تستقر

في الفهم، ولا إقبال للطلاب عليها وليست لديهم محاولات لفهمها، كما يصفونها بأنها تبعث في القلب والنفس الملل والسامة بما تحويه من رموز وكلمات مُبهما وغريبة، ومصطلحات عجيبة، تستغل على الأفهام، وأوزان تُقَطَّع فلا تستسيغها الأذان ولا يتفاعل معها الوجدان.

ومن خلال تدريسي لهذه المادة لطلاب المرحلة الثانوية وطلاب المرحلة الجامعية، لمست الضعف العام لدى الغالبية العظمى في التحصيل العلمي في هذه المادة، ووجدت العزوف والإعراض على هذه المادة سبب لهم الإخفاق في الامتحان النصفى للفصل الدراسي والامتحان النهائي بحصولهم على درجات متدنية جداً فيهما، وهذا قوَى عندهم العزوف والإعراض عن هذه المادة وعدم التعامل معها والاستجابة لها، وأن زمنها عندهم يمر متثاقلاً رتيباً؛ مما جعلهم يضعون هذا العلم تحت مقولة: (العلم به لا ينفع والجهل به لا يضر) ؛ لذلك كله ابتعد الطلاب والمعلمون على السواء عن هذه المادة، فلا نجد أستاذاً يسأل باحثاً عن نقولاته الشعرية من أي بحر هي؟ ولا نرى معلماً يكلف طالباً بالبحث عن بحر قصيدة أو أبيات، حتى ينمي في وجدانهم الإحساس بالإيقاع والتفعيلات العروضية .

هذا و"يعتقد السواد الأعظم من الطلاب أن العروض بحت صعب المرتقى يستحيل إدراك أسرارهِ وتعلّمهِ، ولا يفك طلاسه إلا من وُهب شاعرية طبيعية ، أو غريزة موسيقية يستطيع بها أن يميز صحيح البيت الموزون من المكسور، وأغرب من هذا أن يشاركهم هذا الرأي المغلوط بعض معلمي هذا الدرس في المدارس الثانوية والجامعة"⁽⁹⁾.

وفيما يلي بيان الصعوبات التي تواجه الطلاب في دروس مادة العروض والقافية:

أ- الكتابة العروضية :

الكتابة العروضية تختلف عن الكتابة الإملائية، وهي أن يقسم البيت الشعري إلى تفاعيله التي يتكون منها، وحتى يستطيع المتعلم أن يكتب كتابة عروضية صحيحة ينبغي له أن يعلم الأسس والأصول التي تقوم عليها وهي:

1- ما ينطق يكتب.

2- ما لا ينطق لا يكتب.

ويستلزم تحقيق هذين الأساسين عند الكتابة العروضية زيادة تعطي الأحرف التي لا تكتب إملائياً وحذف بعض الأحرف التي تكتب إملائياً.

والملاحظ على هذه الكتابة هو أننا كثيراً ما نكتب حروفاً لا نطقها مثل الألف والهمزة في (يا ابن)، وكثيراً ما نطق حروفاً لا نكتبها مثل الألف والنون في (لكنّ).

وعلامه التتوين يفهمها المتعلم على أنها حركتان متواليّتان على الحرف فالرفع له ضمّتان والتّصب له فتحّتان والجر له كسرتان، وهي في العروض حرفان الأول متحرك والثاني ساكن؛

لأنها نطقت نوناً في الحالات الثلاثة , ولهذا قد يخفق الطالب أثناء تقطيع البيت فلا يضع النون في مقابلة التتوين فينكسر وزن البيت.

ويعتبر العروضيون التضعيف حرفين, لكن أولهما ساكن وثانيهما متحرك مثل: (مدّ: مدّ) فإذا لم يفكّ الطالب الإدغام فلا يستقيم الوزن ولا تعرف التفعيلة ؛ لأن الشدّة حرف أدغم في مثله تقابله إشارة في الوزن.

ب- التقطيع:

يواجه الطلاب صعوبة في كيفية التقطيع الصوتي للبيت الشعري, حيث لا يعرفون نهاية الرموز الإشارية للتفعيلة وبداية التفعيلة التي تليها , فيحدث لديهم خلط بين تفاعلتين متجاورتين , فلا تتميز عندهم تفاعلات البحر المراد تقطيعه ولا اسمه وبهذا لا يستطيع الطالب الفصل بخط واضح بين التفاعل .

لأن الوزن العروضي يختلف كل الاختلاف عن الوزن الصرفي , ففي الصرف توزن كلمات مستقلة, أما في العروض فإن الوزن أحيانا يكون لكلمة مستقلة وقد تكون كلمتان في تفعيلة واحدة, أو يكون الوزن أو التفعيلة كلمة وجزء من كلمة أخرى, ففي مثل كلمة (كلمًا) وزنها فاعلن وهي كلمة واحدة , أمّا وزن لم يكن وزنها وزن فاعلن وهي كلمتان , وكذلك في كلمة : $\frac{\text{إذا كنا}}{\text{ه/ه/ه//}}$ على وزن مفاعلين وهما كلمتان , أمّا في كلمة $\frac{\text{(نسوقها)}}{\text{ه///ه//}}$ فعلى وزن مفاعلتين, وهي على صورة كلمة واحدة .

ج- الزحافات والعلل:

تصاب التفاعلات في البيت الشعري ببعض التغيرات عند التطبيق وهذه التغيرات هي ما يطلق عليها في علم العروض (الزحاف والعلة) وتدخل على الأسباب والأوتاد, فان كان التغير داخلا على البيت يسمى زحافاً وان كان داخلا على الوتد يسمى علة , والزحاف الذي يدخل على السبب مرة واحدة يسمى مفردا وإذا دخل مرتين يسمى مزدوجا , والتغيير في العلة , إما بالزيادة على التفعيلة أو بنقص فيها, فالأولي تسمى علة بالزيادة والثانية تسمى علة بالنقص وهنا يقع الطالب في الخطأ فلا يعرف الحالة التي آلت إليها التفعيلة عند حدوث الزحاف والعلة وحتى تسهّل على الطالب معرفة الزحافات والعلل, عليه أولاً أن يعرف الفرق بين الزحاف والعلة؛ لأنّ الزحافات "هي عبارة عن حذف ثاني السبب الخفيف , أو تسكين ثاني السبب الثقيل , ولا يكون الزحاف في الأوتاد.(10)

وعليه ثانياً أن يعرف التركيب الذي تنقل إليه التفعيلة إذا وقع فيها زحاف أو علة.

د- الخطأ في تعيين القافية:

ج- القافية المتكاوسة هي التفعيلات قبل الأبيات .

س- أخرج من البيت سبباً خفيفاً , وتداً مفروقاً

لا يعرّن امرءاً عيشه كلّ عيش صائر للزوال

ج- سبباً خفيفاً : أرى , وتداً مفروقاً : زوال.

الملاحظات والتعليق :

الملاحظ على إجابة الطلاب في جانب التقطيع , أنه لم يستطع أن يميز بين التفاعيل، ولم يفصل بخط بين كلمات البيت والرموز الإشارية، إلي جانب الخطأ في تقطيع البيت كما هو واضح .

أما الخطأ في الإجابة عن الأسئلة فمرجعه إلى عدم حفظ المصطلحات العروضية كالسبب والوئد والزحاف والعلة، كما إنه لم يعتن بحفظ التعريفات كتعريف القافية مثلاً.

الجانب الثالث: سبل العلاج ورفع الكفاءة:

إن ما يُقدّم للطلاب في فصول الدراسة، وقاعات المحاضرات لم يحقق الهدف المطلوب من هذه المادة، فرأينا الضعف في التحصيل، وعدم الإتقان لهذه المادة، وقلّة الإستيعاب لقواعدها ومصطلحاتها ورموزها، وليس هذا فقط بل ولّد ذلك كراهية لهذه المادة نتيجة أسباب وعوامل مجتمعة أدت إلى سوء التحصيل فيها , ومنها : المعلم - طريقة التدريس - المنهج - الطالب نفسه.

وأرى أن تكون العوامل التي كانت سبباً في إخفاق الطلاب هي نفسها سوف تكون عوامل مهمة في نجاحهم وتفوّقهم في مادة العروض والقافية , إذا نالت هذه العوامل العناية والتأهيل؛ وذلك كما يأتي :

1- اختيار المعلم الكفاء لتدريس لهذه المادة , والعمل على رفع كفاءة المعلمين الذين تتقصبهم المهارة والاستعداد لتدريسها.

2- لا بأس أن يشار إلى الطلاب في المرحلة الثانوية أو ما قبلها إشارات طفيفة إلى كيفية وزن كلمة أو كلمات في بيت من الشعر المدروس في قصيدة مقررة عليهم , والأفضل أن يكون البيت من الأبحر ذات التفعيلة الواحدة كالمقارب والمتدارك.

3- الاهتمام بالمناهج الدراسية لتحسين مستوى الطلاب في هذه المادة وغيرها.

4- طريقة التدريس:

الأصل في معرفة أوزان الشعر بالاعتماد على الأذن ويتم ذلك بتدريسها على الإيقاعات وكثرة سماعها مبتدئين بالألفاظ المفردة , فالتركيب , فالأبيات الشعرية وفق خطوات هي :

أ- الخطوة الأولى تبدأ بالألفاظ المفردة المطابقة لتفعيله فتقول :

كاتبين : فاعلن ، قارئان : فاعلاتن ، صبورن : فعولن ... إلخ.

ب- استعمال ألفاظ متعددة لتفعيله واحدة كقولنا :

كان عندي : فاعلاتن ، هذا أخي : مستعلن ، ولد الهدى : متاعلن
قد ناداه : مفعولات ، وهكذا ...

ج- ثم تأتي مرحلة التراكيب الموازنة لتفعيلتين كقولنا :

قل لعبد الله عدُ : فاعلاتن فاعلن هل جئت يوماً ناكراً ؟ : مستعلن مستعلن

5- مرحلة التقطيع باليد والقلم:

ويستخدم العروضيون فيها أكثر من رمز مرسوم للتقطيع، وخير هذه الرموز هو (الخط والنقطة) ؛ لأنها تتسم بالبساطة وقلة الرموز ، فالخط للسبب الخفيف (متحرك فساكن) والنقطة للحركة المفردة⁽¹¹⁾، وأنا أفضل أن تكون الرموز الإشارية على شكل: خط مائل للمتحركات ، ودائرة للسواكن ، هكذا (/هـ) وهذا ما أسير عليه في التدريس.

6- أرى أن يكون تدريس مادة العروض والقافية مع مادة الأدب والنصوص الشعرية ، لأنها لصيقة بالشعر ، حيث تتم الإشارة إلى بحر القصيدة وكيفية تقطيعها بعد شرح القصيدة ، وهذا لا يعني الاستغناء عن الحصة الأساسية والمحاضرة المخصصة للمادة بل يكون إضافة للكتاب المقرر وكتب المراجع العروضية.

7- تدريس الطلاب على طريقة الإلقاء للنصوص الشعرية بالكيفية الإيقاعية التي تظهر أسماء البحر عن طريق السماع .

8- الاهتمام بالتدريب على التقطيع المستمر مع حفظ المصطلحات الخاصة لكل بحر.

9- التركيز على القافية وبيانها للطلاب، وإدماج شرحها مع شرح درس كل بحر ؛ إذ من عادة المؤلفين أن يجعلوها في آخر الكتاب ولهذا قد تُهمل وتكون بمعزل عن دروس العروض بحجة أن المعلم لم يصل إليها حسب الترتيب ، أمّا الإشارة إليها وشرح مصطلحاتها مع درس البحر ففيه من التناسب ما فيه.

ملخص الدراسة :

مادة العروض والقافية من المواد الدراسية المقررة على الطلاب في المرحلة الثانوية، وهي أيضاً مقررة عليهم في المرحلة الجامعية.

وهي مادة مهمة لطلاب اللغة العربية تهدف إلى إكسابهم مهارة تقطيع البيت الشعري بصورة صحيحة ، كما تربي فيهم الحسّ المرهف وتوقظ فيهم الإحساس بالإيقاع الموسيقي والتوقيعات الصوتية للتفعيلات؛ لتكوّن لديهم أذناً موسيقية تعرف بحر البيت بالسماع .
لكنّ الواقع غير ذلك ، فلقد رأينا الإخفاق وضعف التحصيل لدى الطلاب ، بسبب تضافر عدة عوامل أدت إلى سوء التحصيل لديهم ، ذكرتها في الدراسة وأعقبها بذكر سبل العلاج ورفع الكفاءة.

الهوامش

- (1) لسان العرب، 173/7 - 175 .
- (2) الإقناع في العروض وتخريج القوافي، ص 3 .

- (3) لسان العرب، 195-194/15 .
- (4) في عروض القافية، ص177.
- (5) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 130/1.
- (6) الشافي في العروض والقوافي، ص 18 .
- (6) السابق والصفحة نفسها.
- (8) العروض والقافية ، ص:11-123.
- (9) العروض الواضح، ص5.
- (10) تبسيط العروض، ص27.
- (11) المختار من علوم البلاغة والعروض، ص205-206.

المصادر والمراجع

- (1) الإقناع في العروض وتخريج القوافي، للصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، ط11.

- (2) تبسيط العروض، نور الدين صمود، الدار العربية للكتاب.
- (3) الشافي في العروض والقوافي، د.هاشم صالح منّاع، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1984م.
- (4) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، ط1، 2006م.
- (5) العروض الواضح، د.ممدوح حقي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1986م.
- (6) العروض والقافية، تأليف: د.ميلود الصغير، د.خليفة ابديري، المركز الوطني لتخطيط التعليم والتدريب، 2003م.
- (7) في علم العروض والقافية، د.أمين علي السيد، دار المعارف، ط5، 1999م.
- (8) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.
- المختار من علوم البلاغة والعروض، تأليف: د.محمد علي سلطاني، دار العصماء، ط1، 1998م.